# تقويض المركز سياسياً في شعر العصر المملوكي

أ.د حسين علي عبد الحسين الدخيلي
**dr.hassrin.A.adbel@utq.edu.iq**
**قسم اللغة العربية, كلية التربية للعلوم الانسانية, جامعة ذي قار, العراق**
**م.م زهراء عون خضير عباس**
**Zahraa.o.Khudhair@utq.edu.iq**
**مديرية تربية ذي قار\ الكلية التربوية المفتوحة**

**الملخص**

**يسعى البحث لمعاينة نصوص الشعر السياسي في العصر, المملوكي, للكشف عن الانساق المضمرة ,والمخاتلة التي حملت بطياتها ,ما يريد الباث ايصاله, الى المتلقي, حيث وضحت تلك الخطابات, كيفية محاولة الهامش محاصرة, الفئات السياسية بمختلف مناصبها وتسمياتها, لتحجيمها ومن ثم تقويضها وانزالها منزلة يجدها الهامش مناسبة لها, لتعتلي بذلك الهوامش ساحة, المراكز وتعلن عن ولادة, عصرها الجديد على انقاض وبقايا تلك المراكز المقصية بفعل الهامش وادواته النسقية.**

**الكلمات المفتاحية : التقويض, النسق المضمر, المركز السياسي, الاقصاء , الهامش.**

**الباحث :م.م زهراء عون خضير**
**الايميل :**
**ZAHRAA.O.KHUDHAIR@UTQ.EDU.IQ**

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 4, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد 14, العدد 4 / الرقم المعياري 2707-5672

# Undermining the center politically in the poetry of the Mamluk era

**Hussein Abdul Husseiln Al-dakhili**

dr.hassrin.A.adbel@utq.edu.iq

**Debartment of Arabic Language,College of Education for Humanities,Dhi Qar University,Lraq**

**Zahraa Aoun Khader**

Zahraa.o.Khudhair@utq.edu.iq

**Dhi Qar Education Directorate\ Open Collge of Education**

**Abstract**

**The research seeks to examine the texts of political poetry in the Mamluk era to reveal the implicit and deceptive patterns that carried within them what the broadcast wanted to convey to a recipient. These speeches explained how the margins attempted to besiege political groups with their various positions and labels in order to limit them and then undermine them and demote them to a status that the margin found appropriate for them, thus ascending to the margins. Centers Square announces the birth of its new systemic era on the ruins and remains of those centers excluded by the margin and its systemic tools.**

**Keywords: undermining the implicit system, political center, exclusion, margin**

**Author: Zahraa Aoun Khader**
**Email: Zahraa.o.Khudhair@utq.edu.iq**

## المقدمة

يعدُ الشعر منذ القدم, ملاذاً للأفكار المختلفة وسيلة للتعبير عن مختلف, الاحاسيس والآراء التي يشعر بها الفرد ازاء موقفٍ ما, ومما لا شك فيه ان الباحث في مضمرات وطيات تاريخ الادب العربي منذ القدم الى العصر المنشود( العصر المملوكي) يرى بوضوح ان هذه الفترات الزمنية قد شهدت احداثاً وفترات مفصلية كانت ذات أثر كبير على تلك المجتمعات بجميع مفاصلها, لا سيما عصر الدراسة, الذي مثل ساحة لمختلف الصراعات الفئوية, فقد عكس شعراء هذا العصر الصراع القائم بين المركز والهامش و كيفية التسابق على استغلال الثغرات المختلفة لصناعة ما يجعلهم في موضع التقدم والاعتلاء عن طريق اللجوء الى تقويض الاخر والتسلط عليه بما يؤهله الى ذلك المنصب الذي تسمو فيه الذات على غيرها حتى وان كان الصنع من وهم المخيلة ووعي الفرد الطامع في بناء ما يجعله سيد الموقف.

قبل الخوض في تتبع,هذا الصراع وتحديد سلوكياته,عن طريق النص الشعري المملوكي, لابد للبحث من وقفة, يوجز من خلالها التعريف, بمصطلح التقويض ونشأته لما له من اهمية في مدار الدراسة, فالمفهوم على الرغم من استعماله القليل في المجال الادبي , الا انه في حقيقة الامر يعد من المفاهيم العصية والشائكة, فهو متداخل ومتشعب في الحقول المختلفة, اذ نجده في اغلب. المفاصل الانسانية, كالسياسية والاجتماعية, فضلا عن الثقافية والادبية, للدلالة على الاختلاف وعدم الانسجام بين تلك المكونات, مما يعني الاشارة الى ما يوحي بتهدم بعض الاجزاء وتفككها, فضلا عن وصولها الى مستوى غير الذي كانت عليه في السابق, اذ ترتقي تلك المكونات في بعض الاحيان قمة الهرم, وتارة اخرى نجدها تهبط الى الهاوية والى مستويات متدنية لتكون متقوقعة بين الهوامش, هذا الامر يحدث ويتكون بسبب تظافر عوامل عدة تجتمع لتقويضها ومنعها من الوصول الى الغاية الاساس التي تسعى اليها عن طريق الوقوق بوجهها وصدها عن تحقيق ذلك بشتى الوسائل الممكنة , الامر الذي تم رصده, عن طريق ما وصل الينا, اذ وجدنا بأنه يشكل, ظاهرة واضحة في ذلك, العصر قد صنعتها قرائح الشعراء وحفظتها النصوص الظاهرة المحملة بالخفايا المقصودة, مما اوجب علينا الخوض, في غمار هذا الامر واستكشاف ما تضمره النصوص وتخفيه عن طريق ما اظهره الباث لمتلقيه في العلن لضرب تلك المراكز وتهميش من فيها بغية انزالهم من موقعهم والنيل منهم.

## مفهوم التقويض:-

يشير مفهوم التقويض في, الجذر اللغوي الى ذلك, الاصل المنطوي تحت الفعل, الثلاثي (قوض) اذ جاء المعنى عند, الفيروزابادي يشير الى ان(( قاض البناء: هدمه كقوضه, او التقويض: نقض من غير هدم, او هو نزع الاعواد والاطناب وتقوض: انهدم كأنقاض, والرجل جاء وذهب وهذا بذا قوضا بقوض: بدلا ببدل))[1], ولا يختلف صاحب العين, في اعطاء معنى للمفهوم في كونه لا يخرج عن(( قوض: تقويض البناء: نقضه من غير هده, وقوضوا صفوفهم وتقوضت الصفوف, وانقاض الحائط أي انهدم من مكانه من غير هدم واذا هوى وسقط لا يقال الا انقض انقضاضا))[2] وبهذا يرصد البحث الاتفاق, اللغوي عند اصحاب المعاجم, اللغوية في ذكرها لمعنى المفهوم وتصوراته على عدم خروج المعنى من كونه هدماً او تقييداً او انتفاءً الشيء من مكانه وجعله في مكانه اخرى يختلف عن السابق واقل منه اهمية, ولا شك ان هذا, التوجه في الاتفاق اللغوي, جعل من البعض يذهب, في استعمال المفهوم للتعبير ووصف ما جاء به جاك دريدا من مشروع ذات فلسفة نقدية توحي بمدى ذلك الاختلاف الذي يهدف اليه في استراتيجية هذا المنطلق القائم على مبدأ قلب الامور وتحريك كل ما هو مرتكز ونموذجي. ولا شك ان ما افرزته,عصور الحداثة قد فتح, الابواب على مصرعيها لظهور, العديد من الافكار والمنطلقات التي تعبر عن رؤية جديدة تنظر الى العالم من زاوية مختلفة تحاول عن طريقها ترميم ما تم بعثرته وسحقه من قبل تلك المهيمنات السلطوية بمختلف انواعها واشكالها, و يعدُ مفهوم التقويض من, اهم المفاهيم النقدية ذات, الصبغة الفلسفية الحديثة التي شاع, ذكرها واستعمالاتها في مجال الثقافات العالمية, اذ يذهب المعنى الاصطلاحي الذي اشار البعض اليه في كونه نابع من ارتباطه بمجموعة اراء ونظريات تعبر عن رؤية اصحابها في تغير بعض الثوابت النسقية التي حرصت الثقافة على رعايتها واستمرار تواجدها, فبعضهم يقول انه مصطلح اطلقه الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك دريدا على قراءته النقدية المزدوجة التي اتبعها في مهاجمة الفكر الغربي الماورائي منذ بداية الفكر حتى يومنا هذا....والذي يصفه بأنه صرح او معمار يجب تقويضه, فالغاية الاساس لهذه القراءة ايجاد شرخ بين ما يصرح به النص وما يخفيه أي بين ما يقوله النص صراحة وبين ما يقوله من غير التصريح[3] ومن جانب اخر نرى ان البعض قد جعل المصطلح مرتبطا بالنسوية وثورتها ضد هيمنة الرجل وسلطته المطلقة, وتحيل التقويضية الى تلك القراءة المتأنية والدقيقة القائمة على ما يحتويه النص من علامات واثار ذات سمات لا تقبل التحديد او التقرير, فضلا عن ارتكازها الى آليات التأطير والاستبعاد والتي تسعى بدورها الى ازاحة اللثام وكشف الحدود التي تقيمها النصوص لذاتها, لتكشف عن الالية التي يستبعد بها النص او يقمع ما يناقضه ويقف امامه[4] وهناك من حاول نقل, المفهوم الى العربية وترجمته, تحت مسمى (التفكيك) على اعتبار انه المصطلح, الاكثر قرباً من المفهوم, الا ان هذا المعنى, وهذه الترجمة لا تتناسب, مع ما جاء به, دريدا وقصده, لان الية التقويض لا, تتفق مع ما انطلق, منه

اهل التفكيك في البناء بعد الهدم, وانه يتناسب مع الاستعارة التي يستخدمها دريدا في وصفه للفكر الماورائى[5] اذ ينص عمل التقويض, على التوجه لتلك المرتكزات, المدعومة من قبل المؤسسة, والثابتة بفعل العوامل الثقافية, لخلخلتها وهدمها من دون التفكير في اعادة بنائها او توجيهها من جديد عن طريق تقديم البديل, فهي تكتفي بالهدم دون البناء, فقد اعتمدت هذه الحركات كل الاعتماد على هذا المفهوم ومنطلقاته في تقويض تلك الهيمنة المركزية والتصدي لها لما تخلف عنها من ظلم وتهميش للطبقات المختلفة, لذلك اخذت تلك الفئات, المستضعفة والمهمشة للنيل من السلطة المركزية وزعزعة عرشها عن طريق كشف النقاب وتعريتها بتعداد عيوبها والاشارة الى اهم المساوئ التي تشكلت وفقها تلك السلطات المدعومة من قبل الثقافة المؤسساتية من خلال التمرد والاعتراض الذي يأخذ منحى الهدم واقصاء كل ما يعترضه ويقف في مسار تقدمه لا سيما الافكار المغروسة والسائدة برعاية الثقافة النسقية الضاربة بأنساقها منذ القدم, عن طريق الخلخلة واللعب, الحر للكلمات, فهي تقوض النص وتحدد, سلوكياته باحثة في مضمراته التي لا يتم الافصاح عنها, واختيار طرق التلميح او, الرمزية لإيصال ما يريده, من خلالها, وبذلك تعارض منطق النص, الواضح في بعض الاحيان وادعاءاته الظاهرة بالمنطق الكامل في النص, كما انها تبحث عن, النقطة التي يتجاوز فيها النص القوانين والمعايير التي وضعها لنفسه, فهي عملية تعرية للنص, وكشف او هتك لكل اسراره, بل انه بأقرب تصور تقطيع لأوصاله وصولا الى أساسه الذي يستند اليه فيتضح في هذا الاساس مدى ضعفه ونسبيته وسيرورته, فتسقط عنه قداسته وزعمه بأنه ثابت متجاوز[6] لذلك كانت لمنهجية دريدا, الدور الامثل لقراءة نصوص شعراء العصر وتوضيح الالية المعتمدة في تقويض المراكز والافكار والتقاليد السائدة والمبتدعة من قبل السلطة الجديدة, لا سيما وان النص, الادبي كان الحقل الخصب, لمثل هذه التمثلات النقدية ذات الاتجاه السلوك المغاير, وهو ما اراده دريدا, وعمل عليه , فما تسعى اليه الفلسفة, التقويضية وتنشده هو ايجاد اجراء استراتيجي جديد يعمل اعطاء الفئة المهمشة قيمة نفعية ونقدية على حساب تقويض سلطة المركز وتقيد حدوده وتبديد افكاره المبنية على منهج مؤسساتي, لا سيما وان التقويض ((لا يقوم في الانتقال من مفهوم الى آخر؛ ولكنه يقوم على قلب ونقل النظام المفهومي والنظام غير المفهومي الذي يرتبط به, فهي محاولة جادة تسعى الى فصل الفكر النقدي عن التقليدي الفلسفي المؤسساتي , كما تسعى الى اعادة النظر في هيمنة المفهوم والمفهمة على الفكر النقدي))[7], ان النظرة التقويضية قد رصدت لنفسها سلوكاً جوهرياً في اجراءاتها النقدية, اذ انها لا تذهب, كما صرح البعض من قيامها بتفكيك الاجزاء من اجل اعادتها وفق تشكيل خاص تقتضيه, خصوصا وان هذا الرأي, قد يتعارض مع فلسفتها, الاجرائية القائم على قصدية, تؤمن بـ(( قراءة الافكار او النزعات او المذاهب او النظريات التي كانت قائمة في مذهب من المذاهب وعبر عهد من العهود, ابتغاء تقويضها , أي تدميرها كلها او بعضها, ثم إقامة نظريات حولها وسوق افكار على انقاضها))[8] , ان هذا المبدأ انطلق, من رؤية فكرية ترفض التعامل وفق تراتبية قامعة لطرف على حساب اخر, فالطرف المتعالي هو من, يتحكم ويتصدر الموقف, لذلك جاءت هذه النظريات, التي شكلت جزءاً من, اجزاء الحداثة لتعبر عن, رفضها التام وتقويضها لتلك, الافكار والمنطلقات التي اسهمت, المؤسسة الثقافية في حمايتها, اذ يرى دريدا ان, الفكر قائم على مجموعة ثنائيات ضدية وعدائية تنطلق منها وتتأسس عليها ولا توجد الا من خلالها, كثنائية العقل \ العاطفة\ الذات\ الاخر\ المشافهة الكتابة\ الرجل\ المرأة وما الى ذلك, وهذا الفكر يمنح جل, اهتمامه وامتيازاته الفوقية للطرف, الاول ويلقي بالدونية والثانوية على الطرف الثاني, وهذا التحيز للطرف الاول على الثاني هو ما يطلق عليه دريدا التمركز المنطقي[9],هذا الاحساس الناجم عن, الشعور بالدونية والثانوية جعل, الاخر ينتفض مواجها المركز, مقوضاً ومحدداً مكانته وموقعه بين الاخرين, كاشفا عن اهم عيوبه وتناقضاته, القائم عليها, والعصر المملوكي كان مثالاً, لذلك الامر, وهذا يعود لما احتوى, من اجناس جديدة واحداث عظيمة كان لها الاثر الكبير لإحداث ثغرات وشرخ بين فئات طبقاته المختلفة, فالتراتبية الطبقية التي افرزها, هذا العصر كانت العامل, المحرك لثورة الهامش وتحركه, اذ افضت المعاملة القاسية المتبعة من تلك السلطات على اختلاف انواعها الى غليان الهامش وتهيجه للمواجه والتصدي بما اتيح لهم من وسائل وادوات لضرب الاخر وتقويضه. لقد عكست نصوص الشعراء, الخطابية منذ العصور السابقة, عن كمية التحولات السياسية, التي نشدتها تلك الذوات خلال سعيها للتخلص من الخضوع والتقوقع في دائرة المهمش والمنعدم, ومحاولتها لإيجاد معادل موضوعي, تستند عليه في عملية, الخروج من ذلك الانزواء, لترميم نفسها وايجاد ذاتها المفقودة عن طريق خلخلة تلك المرتكزات و ترجيح الكفة لطرفها دون الاخر, بتقويضها الطرف الاول وسحب بساط الهيمنة لصالح الطرف الثانوي ليعتلي الموقف ويتسيد الساحة بعد اذلاله وكشفه لذلك الاخر على حقيقته عن طريق فضح تلك المرجعيات, وكشف النقاب عن وجهها الحقيقي الى المتلقي, لا سيما في المجال السياسي, فقد كانت خطابات السياسية, التي تبدع فيها الذوات الثائرة تقدم وفق منظور نقدي تنطلق في توجيه رسالتها من منظور يجمل في طياته ويصور ما كانت عليه الامور السياسية وشؤونها المختلفة في ذلك الوقت, فقد عملت هذه الاصوات, الصادحة على الاعلاء من صوت الفئات المعارضة عن طريق ترجيح الكفة لتلك الفئات المستضعفة للخروج من واقعها المنزوي المفروض عليها, لترمم نفسها ثابتة وجودها امام من حاول اقصائها وابعادها عن واقعها الحقيقي الى الواقع المصطنع والمفروض من قبل ذلك المهيمن. ويعدُ التقويض السياسي الجانب الغني والابرز في مجال الدراسات الى جانب المجالات والاشكال الاخرى, وهذا يعود الى طبيعة العلاقات التي شهدتها العصور السابقة لا سيما الاولى منها تلك القائمة على مبدأ القبلية المركزية والتعصب لها وصولا الى عصر الدراسة(المملوكي) الامر الذي ولد

الكثير, من الفوارق بين ابناء المجتمع الواحد, وبالتالي شكلت هذه الفوارق, حالة من السخط والتمرد, على السلطة الحاكمة التي تفضل فرد على حساب اخر دون الاكتراث لما سوف يعانيه او يعيشه هذا الفرد من سلوكيات قد تعود بنهاية الامر على المركز نفسه, وهو ما حدث بالفعل, وتمثل في نصوص العديد, من الشعراء المعارضين لتلك السلطات وسياستهم السلطوية, اذ ترك شعراء العصر, المملوكي بصماتهم الممزوجة برؤية, فكرية ونقدية تعبر عن حالة من الرفض المستمر لما تفعله وتقدم عليه تلك السلطات من افعال واعمال جعلت الهامش يستيقظ من سباته الطويل ومحاولته الوقوف والتصدي لتلك المركز بما توافر لدية من وسائل وادوات يعكس من خلالها مدى الظلم والتهميش الذي يعيشه هؤلاء بسبب تمادي السلطة وهيمنتها, ليقول في النهاية كلمته, الداعية الى استرداد الحق, واعتلاء الموقف بقلب الصورة, على اصحابها عن طريق, تبادل الادوار والاماكن ليعتلي, ذلك المنبوذ ويتسيد الموقف, بعد اقصائه, خصوصا وان هذا الامر, لا يتم الا من خلال براعة ذلك الناقد الثائر بصوته و المتمكن من استمالة المواقف والاوضاع الى صالحة, بتوجيه سهامه اللاذعة الى, تلك الطبقات المختلفة, محركا الوعي الذاتي عند الفرد ومذكرا اياه بما رسمته المخيلة الثقافية عن صورة السلاطين منذ القدم, فقد كانت النظرة الثابتة, لصورة هؤلاء السلاطين مكروهة في الوجدان الشعبي للعرب والمسلمين, وربما لغير العرب, فقد اقترن حضور السلاطين, بالظلم الا فيما ندر, وبالبطش الا في حالات استثنائية, وما ان نستعيد صورة, للسياف مسرور الشهيرة في, ميراث الحكايات الشعبية حتى, تتداعى في الذاكرة الجمعية ما هو محفور فيها من ظلم وجور وقتل واستبداد, كان مرايا عاكسة لطبيعة السلطة الحاكمة في كل مكان وكل زمان حيث سيؤدي سيفه الدور المتكرر في الاحاطة بكل من غضب عليهم السلطان بحق ام بغير حق[10], وبذلك جسدت تلك السياسات, الظالمة الكثير من الفئات, المهمشة التي قبعت خلف, جدران السلطة, لا سيما وان لسياسية الدولة المملوكية انساقها الظاهرة والمضمرة, وهي دون شك تعكس دهاء تلك الفئة وذكائها في الوصول للسلطة وتقلد المناصب المختلفة باتباعها لطرق عدة, الا ان شدة هذا التسلط وقوته لم ينتجا الا انتفاضاً للهامش وخروجه من ذلك التقوقع المرسوم له من قبيل المركز. ونجد تمثلات هذا التقويض في قول الحلي:

ان الزرازير لما قام قائمها  توهمت انها صارت شـــــــواهينا

ظنت تأني البزاة الشهب عن جزع  وما درت انه قد كان تهوينا

بياذق ظفرت ايدي الرخاخ  ولو تركناهم صـــــــاروا فرازينـا

ذلوا بأسيافنا طوال الزمان, فمذ  تحكموا اظهروا احقادهم فيـــنا

لم يغنهم مالنا عن نهب انفسنا  كـأنهم في امان من تقاضيـــــنا

اخلوا المساجد من اشياخنا وبغوا  حتى حملنا فأخلينا الدواوينا[11]

يحيلنا هذا الخطاب الشعري, الى صورة مشهديه حاك جوانبها وطرز أطرها قائلها بدقة وعناية فائقة مبينا من خلالها مدى وضاعة تلك السلطة وهشاشتها في نظره, اذ جاء الخطاب محملا, بالعديد من الاشارات والايحاءات القصدية الدالة على تقويض الاخر وتحجيم سلطته بين الاخرين, محولا المسار المؤسساتي من صورته الايجابية الداعمة لهذا المركز الى صور سلبية محطمة لصاحبها, فوصفه السلطة بـ( الزرازير) واضفائها عليهم هذا الوصف التشكيلي جعل المتلقي دون شك يذهب بمخيلته ووعيه الى ما اختزنته الثقافة عن هذه اللفظة وما لها من مدلول في الحياة, فصورة الزرازير توحي لمن, يتلقاها عن حالة الضعف والتردد, في مواجهة من يحاول التعرض له, فضلا عن حالة الاستسلام, والهزيمة التي تتلقاها هذه الفئة في كل مرة تحاول فيها الانتفاض لنفسها, الا انها دون شك, تعود خاسرة ومحطمة كالعادة, لقد استعار الشاعر هذه, الصورة الذليلة ليوشم بها السلطة من وفيها من اعالي القوم, ليعبر من خلالها عن الوجه الحقيقي لتلك المراكز القابع خلف مرجعياته المؤسساتية الداعمة لموقفه السلطوي ازاء كل ما يحدث, الا ان اصرار الوعي, عند الشاعر في مواجهة, تلك المهيمنات السلطوية والوقوف امام مرتكزاتها لتحطيمها كان الهدف الاساس الذي لا يرى غيره الهامش, لذلك جاءت الصورة تشي, بمدى رغبة هؤلاء في انزال تلك المراكز والحط من مرجعياتها والتي وسمها بكونها قد( توهمت \ وظنت) فدلالة هذه الافعال في الحقيقة تشير الى مدى الزيف والخداع الذي تعيشه هذه السلطة, وتوهمها ان الاخر ضعيف ولا يقوى على المواجهة, الا ان الاخر كان في حقيقة الامر يعد العدة للانتقاص منها وفرض سلطته عليها وجعلها في حالة التقوقع والتهميش. ان ما فعله الحلي, في ذلك الخطاب القصدي, الهادف الى تقزيم السلطة وتحقيرها بوصفها ببيادق الشطرنج المحركة من قبل الاخر, يدل على قصديته في, الغاء وعيهم في الوجود, ودورهم في الحياة مما يعني تغير سمتهم وسحنتهم بلغته كيفما يشاء ويرغب, لا سيما وان هذا التقويض والتحجيم ليس عفويا طارئا, فهو فيه افراط في, التهميش والاقصاء حين يصورهم, كائنات جامدة بلا حياة ,ويصفهم بالهياكل عديمة الروح, مغلفة بالإغراب والتغريب والتوهم, ويعضد من هذه الصورة ويحيل بها الى متلقيها لجعله شريكا في هذا التقويض والتحجيم عندما يذهب الى استدعاء لفظ (المساجد) وما لها من قيمة

في نفس المتلقي, ليربط ويجسد من خلالها,ما تبقى لهذه السلطة, من صور توحي بعدم الورع, والعقيدة فهم اقوام لا ايمان لديهم, اذ يربط بين ما, افرزته التراكمات العقدية في الاذهان عن حرمة بيوت الله وبين ما اقدم عليه اصحاب تلك المراكز من فعل مشين اذ (اخلوها من مشايخها) وهو بذلك يفقدهم تقواهم وورعهم[12] الذي حاولت المؤسسة الثقافية نزينهم به, وتقديمهم للأخر على انهم اصحاب الامر القائمون بالعدل, الا ان براعة الشاعر قد ازاحت النقاب عنهم وكشفت زيفهم بحق فئات المجتمع, فمن خلال هذا الاستدعاء, والتوظيف عمل الشاعر على, الارتفاع والسمو على ذلك, المركز, فهو لم يكتف بهذا الاستعلاء والارتفاع الروحي من دون تهديم وتقويض لتلك السلطات المخادعة. ومن تمثلات ذلك التقويض ماطالعنا به محمد بن نصرالله الدمشقي:

ان سلطاننا الذي نرتجيه  واسع المال ضيق الانفـــــاق

هو سيف كما يقال ولكن  قاطع للرســـــــوم والارزاق[13]

يفصح النص عن مدى, براعة صاحبه في مواجهة, المركز وتقويضه لوضعه في, خانة التهميش, فقد عمل الشاعر على,ايجاد معادل موضوعي يتخذه,السبيل الى الوقوف بوجه هذا الظالم وتحديد مساحته بين الاخرين عن طريق الضرب على نسقية الكرم وما لها من اثر في وعي المتلقي, بالمقابل فقد وجد في, هذا الامر مجالاً رحباً,لتعبير عن روئ وافكار, توضح حقيقة هذه المراكز, وسياسة حكامها القائمة على الظلم وسلب حقوق الرعية تحت مسمى العدل والانصاف المبرقع لمساوئ صاحبه, الامر الذي دعا الشاعر الى الخروج على تلك السلطة والنيل من اركانها عن طريق التصريح بمدى قبحياتها وبشاعة افعالها, مما افضى بطبيعة ,الى تحديد موقف الشاعر منها و رفضه لتلك السلوكيات المبطنة والزائفة التي يحاول من خلالها المركز خداع عقلية الفرد وتنويمهما عن طريق اضفاء صفات مباركة على تلك السلطة ومن فيها, الا ان الشاعر قد, كشف النقاب ووجه سهام, التقويض لهدم تلك المركزية, واقصائها, اذ تكشف لنا الحيل, النسقية وادوات الثقافة الماكرة, ما تضمنه الخطاب من, تكوين دلالي مركب تضمن, فيه الثقافة حقوق التراتب, الطبقي حسب مواصفاته النسقية, حيث يعمل الخطاب على, فضح ما تحاول تلك الدلائل والانساق اضماره عن الاخر, الا ان وعي الشاعر, واسلوبه المدمج بالنقد الساخر,عمل على تفكيك تلك الاساليب وتحطيمها, ليبين من خلالها مدى, هشاشة تلك المراكز ومن, يعتليها بنظر الهامش, فما اعتمد عليه اللاوعي, في اعطاء صورة حقيقة, لذلك المركز كان في, حقيقة الامر مرتبط اشد, الارتباط بما اختزنه الوعي, عند المتلقي , لا سيما وان ما, رسمته الثقافة في مخيلة, الفرد ما هو الا, سياسة نسقية مهيمنة تحاول المؤسسة دعمها واستمرار تواجدها عن طريق صناعة ما يؤمن لها هذا البقاء والديمومة, لقد كانت آلية هدم, هذا البناء المركزي و تقويض تلك الهيكلية المؤسساتية الهدف الاول للهامش وغايته الحقيقية في انزال تلك المراكز موقع ومكانة اقتضاها اليه الهامش, واعتلاء الطرف الاخر الساحة وفرض نفسه بكونه صاحب التميز والاحقية في ذلك, فمن خلال سلبه للمناقب والصفات وتجريده من الامور الايجابية التي يرتضيها الوعي الثقافي, استطاع انزاله منزلة تفقده, مشروعيته في الحكم وادارة, امور البلاد, فالجمل النسقية ذات المعاني, المضمرة اشارت الى مقصدية, الشاعر في تفتيت اركان, السلطة و ازاحة شرعيتها, عن طريق التعمد في, توظيف تلك المفردات التي, تحيل متلقيها الى غايات, اخرى عند قراءة النص, فالشاعر في نصه هذا, عمد قاصدا الى الاستعانة, بمختلف التشبيهات ذات الصور الدالة على وضاعة صاحبها ودونيته, مما يعني تمكن الشاعر من سلب السلطة المملوكية شرعيتها وقيمها الفحولية التي جاهدت المؤسسة في رعايتها وديمومة استمرارها, الا ان هذه الرعاية, المؤسساتية لتلك المراكز قد, اصتدمت بواقع جديد عمل, على خلخلة اركانها وتفنيد, مزاعمها, عن طريق التعرض لاحد اهم اركانها الا وهو السلطان الحاكم, فالتعرض اليه ومحاولة ابعاده, عن كرسي الحكم, انما هو تقويض للسياسة, المملوكية بأجمعها. ويعول الهامش المتمثل بالسان, الشاعر ذات الحدة والصرامة كذلك في التصدي للمركز وتحجيمه الى استغلال ما تعارف القوم من قواعد واصول حول بعض الصفات الدميمة والفروق الاصيلة في اختراق النظام المركزي لتوجيه سهام الهدم والاقصاء الى تلك السلطة الحاكمة بطريقة النقد الساخر من الحاكم ومن يحيطه من اصحاب المناصب ممن اتخذوا تلك المراكز السياسية لتحقيق مصالحهم على حساب الرعية وفئات المجتمع كافة, مما جعل الاخر ينتفض مطالبا بحقوقه بصورة ساخرة لاذعة قريبة من فهم المتلقي وادراكه, لا سيما وان الشاعر, وهو يصوغ خطابه يضع في الحسبان ذائقة المتلقي وطرق استمالته اليه ليكون المشارك الفعال في هذا الرفض والتقويض, فهو في نظر الشاعر, اليد الاولى لهدم لتلك, المركزية ومقوض اركانها عن طريق تفاعله اللاارادي مع ما يقدمه الباث من خطابات تقلب الصورة على اصحابها لكشفهم وتعريتهم امام الجميع وفي المقابل يحقق لذاته الارتفاع والعلو عن طريق تبادل الادوار وانزال كلا منهما منزلة الاخر.كما نرصد هذا السلوك التقويضي في قوله كذلك:

سلطاننا اعرج وكاتبـــــــــــه  ذو عمش والوزير احـــــــدب

وصاحب الامر خلقه شرس  وعارض الجيش داؤه عـــــــجب[14]

ما يحمله هذا الخطاب, من مسوغات انطلق منها, الشاعر في تقويض ذلك, المركز وهدمه قد شكلت, في حقيقة الامر منطلقات, للتميز بين ذات الشاعر وهذه السلطة, التي يحمل عليها منقضا, من الاعلى السلطان وصولا الى حاشيته, وهو بهذا الفعل يستند, على ما حمله الموروث الثقافي, العربي وما اختزنه الوعي البشري لتحجيم تلك المراكز واقصائها, فهذه العيوب التي تمييز, بها هذا المركز وسلطته, القائمة على الهشاشة, لا تقبلها الثقافة العربية, وعدتها احدى العيوب النسقية, التي تجعل صاحبها في رتبة او مكانه اقل من الاخرين, لذلك يتسلق الهامش عن, طريق حيل السلطة الجمالية, وادواتها البلاغية لترميم نفسه واصلا الى السمو والاعتلاء عن طريق العمل على تبادل الادوار والمراكز, عاملا على تمزيق وحدة المركز وتهديم اركانه, بكشفه لعيوبه النسقية التي, لا يتقبل وجودها الوعي, في شخص المركز والسلطة المرسومة من قبل الثقافة العربية والتي تعيب على المركز اتصافه بهذه العيوب, لقد حرصت السلطة الجمالية وادواتها النسقية على ان تلصق السلطة السياسية وتصفها بهذه العيوب النسقية, لكونها في حقيقة الامر مسلكا قصديا ساعدها في رسم عالم السلطة السياسية المقوض, لاسيما وانها ملائمة للصورة الذهنية المخزونة في الثقافة العربية, وبالتالي ساعدها هذا الامر, لنسج خيوط ذلك التحجيم ومن ثم الاطاحة به وهدمه لتولي مكانه والتعالي عليه, لقد اشار الخطاب اعلاه الى وجود الهدف والغاية من صناعته الى فكرته الاساس والتي تضمنت في حقيقة الامر الكشف عن نسقين متضادين, تمثل الاول في نسق الهامش وسلطته الجمالية المقوض فيها الآخر, والاخر نسق السلطة السياسية, الحاملة للعيوب النسقية, وكيفية مواجهة النسق الاول, للأخر وقيامه بتعريته وكشف الزيف والخديعة التي بنى عليها المركز تلك السلطة[15], هذه التعرية والكشف كانتا, الوسيلة لهدم ما حاولت, السلطة صناعته وتأسيسه, ليعتلي الموقف ذلك الأخر, الذي حرصت السلطة دائما على محاصرته وابعاده بشتى الوسائل, الا انه في حقيقة الامر كان يتصيد الفرص لينقض عليه مقوضا اركان سلطته مهدما ما حرص على ديمومته واستمراره عبر تقديمها صورة سلبية محملة بمختلف العيوب النسقية, والتي تجعلها الثقافة النسقية, خارج اعرافها, اذ نجح العقل الهوياتي, الأداتي المؤدلج والمتمذهب في, اجتياح مساحات واسعة من المشتركات والجوامع الهشة في الاساس, موظفا بكثافة عالية تلك المعطيات الثقافية القائمة على ديباجة مختلفة من اشكال التمركز على الذات وادعاء المشروعية التي تلغي او تقصي الاخر ولا تعترف به الا كعدو لها لابد من تقويضه واقصائه عن تلك المراكز[16], ان ما يحاول التفكيك, تقديمه يتجسد في كونه, لم يأت من اجل تقويض الاسس المفاهيمية لقيمة النص واصوله التي اختارتها الثقافة له, انما يهدف في حقيقة الامر الى اعادة ترتيب تلك القواعد من جديد وفق آلية جديدة ذات فضاءات واسعة تسمح للمتلقي من رسم صورة حسب ما يضمره النص من اشارات وايحاءات تحيل صاحبه الى المعنى المراد ايصاله, لا سيما وان كل قراءة هي احالة الى معنى مختلف لرؤية مختلفة تعبر عن وعي وفكر ايديولوجي يؤمن بمسلمات ومنطلقات يجدها كفيلة في ايجاد ما تم اضماره او تمريره بالتعاون مع النسق المؤسساتي الراعي لذلك الفعل, فالهامش المنتفض بوجه السلطات يعي خطورة ذلك الصراع ويفقه طرق المواجهة الثقافية وحيلها ليمرر ما يريد ويرغب من صور سلبية حول ذلك الهدف ولعل هذا الامر تمثل بقول ابن الفقيسي:

ابلم قلدوه أمر الرعايـــــــا وهو من حيلة الوزارة عـــــطل

فهو بالبوق بالوزارة طبل وهو في الدست حين يجلس سطل[17]

تتجه استراتيجيات الخطاب المضاد, للسلطة ومن فيها الى, زعزعة القواعد والأسس التي, يحاول المركز تثبيتها واستمرار ديمومة عملها بشتى الوسائل الممنوحة من قبل المؤسسة الراعية لتلك القوى السلطوية, الا ان براعة تلك, الادوات الاستّراتيجية وهيمنتها النسقية, كانت بالمرصاد لتلك المراكز, والسلطات المزيفة, اذ اخذت على عاتقها, محاولة الكشف عن تلك, الانساق وفضحها بين الاخرين لإيضاح الصورة واعادة ترتيب القواعد وفق آلية ورؤية تقتضيها تلك الفئات التي حاول المركز ابعادها واقصائها, فهذه السياسة العابثة لا, شك عملت على توليد, حالة من الوعي لدى تلك الفئات المظلومة للخروج من واقعها المرسوم لها من قبل السلطة نفسها لترميم نفسه واعادة بنائها من جديد وفق آلية جديدة ترتضيها لذاتها العائدة من غيبوبة السيطرة والخضوع, لتعلن بذلك التمرد على, جميع القيود الموضوعة لمجابهة تلك السلطة بحقيقتها والكشف عن وجهها الحقيقي, حيث سلك من اراد, ذلك الموقف طرائق عدة لتعبير عما يلازمهم من شعور واحساس جديد يقضي بعلو الذات وسمو منزلتها الضائعة بسبب هيمنة السلطات ونفوذها المتبع لسيطرة والتمكن من تلك الفئات, الا ان حضور الوعي, وتمكنه من عقليه الفرد قد قلب الاحداث وعمل على تغير ذلك النمط الساسي المتبع, حيث شكل هذا الانقلاب, حالة من النهوض المصحوب بالإفاقة التوعوية ومطالبتها المستمرة بوجود حالة من التوازن والعدالة بين الجميع وعدم التميز والتفرقة على حساب فئة ما, فهناك من اعتمد اسلوب, المواجهة المباشرة لتحجيم تلك السلطات وتقويض سلوكياتها, واخرى وجدت في اسلوب السخرية والدعابة المجال الاوسع للإطاحة بتلك المراكز ومن فيها, فالشاعر في النص اعلاه نجده يجهر بالقول واصفا ذلك السلطان وحاشيته التي لا علم لها ولا دراية في امور الدولة وادارة شؤونها, اذ انه في عمله هذا يحاول الاشارة الى اعتلاء الشخص غير المناسب لتلك المناصب المهمة في الدولة, فقد عمل السلطان على تنصيب من لا يفقه شيئاً بتلك المراكز لإدارتها مما عمل على اثارة حفيظة تلك الطبقات المهمشة بسبب ما اصابها, لتعلن بذلك

رفضها التام لوجود مثل هكذا شخصيات غير مؤهلة لإدارة تلك المواقع المهمة, الامر الذي جعل الهامش ينطلق بالعمل وفق رؤية تؤمن بأحقيته الاعتلاء دون غيره لا سيما هؤلاء الداخلين عليهم والمختلفين عنهم بكل شيء.إن ما صدحت به حناجر النخب المهمشة ومحاولتها التصدي والوقوف بوجه ذلك المركزي ما هو الا رد حقيقي اقتضاه الوعي والحس الشعوري على ما يعيشه الفرد ويحس به ازاء ذلك الضغط السلطوي عليه , وبذلك يصبح الخطاب الصادر عنهم على الرغم من وعيه بخطورة الموقف وشدته الا انه في الوقت نفسه معضد للمفهوم السلطوي ومروج لمفاهيم اساسية, بل لعله يرسم استراتيجية قمعية اخرى لكنها مراوغة ناعمة منسوجة من خيوط حريرية لا تنقطع على الرغم من ملمسها الحرير, اذ تعكس هذه الاوصاف قوة الخطر والتهديد الحقيقي الذي تمثله هذه النخب الثقافية العامة المهمشة والمسلوب حقها بالنسبة لغيرها من لطبقات[18], حيث عملت هذه النخب على احداث حالة من عدم التوازن والخلخلة بين اركان الدولة , مما عمل دون شك الى نشوء حالة من الاضطراب الذي استغلته الفئات المهمشة لمداهمة المركز لتقويضه والتسلط عليه , ومما يجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان هذا التقويض الذي نرصده في النصوص الشعرية لتلك المراكز, نجده قد حيك وعد ببراعة فائقة لتحجيمهم من قبل من يحيط تلك المراكز نفسها, ممن ينتظر الوقت المناسب للانقضاض على تلك المركزية وهدمها واعتلاء الساحة, او ان هذا الامر يصدر من قبل بعض الفئات المظلومة والمسحوقة من قبل هيمنة المركز وسلطته الظالمة . لذلك سعى الهامش الى تغيب الاخر واقصائه عمدا وقصدا عن طريق تحويله الى كائن غير مرئي هلامي فضلا عن تشخيص واضفاء الصفات عليه حسب ما تقتضي ذات الهامش فهي المسيطر الحقيقي ولها الحضور المطلق لتصرف كيفما تشاء, مما يعني ان ما تصدره, من قول هو اشبه, ما يكون بالحكم النهائي على ذلك المركز, وبالتالي الوصول الى الغاية الاصل الا وهو تحجيم تلك الذوات وتقيدها بقيود وضعها الهامش وانقضاضها على تلك المراكز لتحطيمها وتكسير بنيتها المركزية بين الاخرين عن طريق رسم صورة سيئة مسلوبة الصفات الايجابية في ذهن المتلقي لذلك الخصم السلطوي, وينطلق شعراء هذا العصر (المملوكي) في عملهم التقويضي من مبدأ قائم على رؤية فلسفية نقدية تؤسس لقاعدة نسقية ثقافية تؤمن بأنها الصوت الثائر الذي يمثل مختلف الطبقات المهمشة ضد السلطة السياسية, لا سيما وان الشاعر وعلى مر الزمن يرى نفسه ابن البيئة التي يحيا فيها يؤثر ويتأثر فيها, فهو ومن هذا المنوال اخذ على نفسه ان يكون اللسان الرافض واليد الضاربة لسياسات تلك السلطات الظالمة, متناولا اياها بمختلف الصور الدالة على عمق وعي الشاعر وايمانه بمأساة من يحيطه من ابناء جلدته ممن عقدوا الآمال فيه على ايصال اصواتهم التي قوقعها المركز ودفنها في الهاوية, لذلك كانت مهمة هذه, المهمة يقع جلها على اكتاف ذلك الاعلامي الثائر, الواصف للوضع السياسي بجميع, اشكاله وتفاصيله, لا سيما انه على مر العصور يعدُ المرأة الحقيقية التي تحرص على نقل دقائق الامور وتسجيلها بالصور المختلفة سواء اكانت ايجابية ام سلبية, وهذا العصر لا يختلف عما سبقه شيئاً, اذ ابدعت قرائح شعرائه في نقل الواقع بأشكاله المختلفة لا سيما السياسي منه, وهذا دون شك يعود الى كثرة التغيرات التي شهدها العصر وتعاقب الحكام والسلاطين عليه, لاسيما وان هذه الكثرة, المفرطة تعود اسبابها الى, كثرة الخيانات والمؤامرات الدفينة التي اعتاد عليها البيت المملوكي, وقد اشار ابن الوردي الى هذا الامر قائلا:

كم ملك جاء وكم نائب  يا زينة الاسواق حتى متى؟

قد كرروا الزينة حتى اللحى  ما بقيت ان تنبـــــــــــــتا[19]

يجمل النص اعلاه طبيعة, الوضع السياسي القائم في ذلك العصر, اذ تشير مضمرات القول, الى استمرار عملية التقويض والتحجيم لتلك المراكز بصورة غير طبيعية, فقد عكست ابيات الشاعر, رؤية الهامش اتجاه تلك, السلطات وحكامها الدخلاء على السلطة والبلاد, فما حملته الجمل النسقية, من مضمرات كشف عن حالتي الصراع و التقويض اللتين يتعرض لهما حكام البلاط المملوكي وسلاطينه على يد بعضهم البعض او على يد الفئات المهمشة, فقد ذكرت المصادر ان, بعضهم لم يلبث في المناصب الا اياما معدودات بسبب كثرة الانقلابات التي تحدث, هذا الامر جعل الشعب, يعيش حالة من عدم الاستقرار والراحة فكل سلطان يأتي لا بد له من حاشية يحتمي بها وتكون مؤيدة له مهما حدث, فضلا الحرية المطلقة التي وجدوها من قبل تلك السلطات مما جعلهم يضعون القوانين حسب الامزجة الموافقة لهم, هذا التمادي جعل الاخر, المهمش يعبر عن احساسه, الرافض لتلك السياسة الظالمة, عن طريق خروجه على تلك المراكز والانتقاص منها بإعطائه الحرية الكاملة للصوت الثائر للانتقاص منهم واحداث عملية تبدل الادوار ما بين المركز والهامش, اذ اخذ الشاعر على, عاتقة مسؤولية انزال تلك السلطات منزلة يرتضيها الهامش عن طريق فضحهم وتقويض حجمهم, وارجاعهم الى مكانتهم الحقيقة, لا سيما وان الوعي الثائر عن الشاعر حريص كل الحرص على مواجهة تلك السلطات بحقيقتها التي طالما حاولت المؤسسة تجميلها وتنميقها من اجل ترسيخ صورة ايجابية عنها في ذهنية المتلقي, خصوصا وان الذاكرة العربية والثقافة الاصيلة قد عملت جاهده بكل ما لديها لوضع اسس وقواعد تؤسس لتلك المراكز صانعة هيمنتها وسماتها التي تجعلها تفوق الاخرين, بعدها المثال الذي يحتذى به, الا ثوران وعي الهامش وانتفاضه ضد تلك السلطات حطم كل الاسس والقواعد الصارمة وافتك بالمراكز وحجم مكانتها بين الاخرين, اذ ازاح الهامش بعمله, هذا الغطاء عن كل, ما هو

مضمر ومختبئ, خلف المؤسساتي والجمالي المنمق من قبل اصوات لا يهمها الا المصلحة الخاصة على حساب المبادئ والثوابت العامة, ان تمادي اصحاب اليد, الطولى على الطبقات المختلفة, واقصائها, كان له الاثر الكبير, على نشوء حالة من الوعي الجمعي الذي يقتضي الوقوف بوجه تلك المظالم وانزال اصحابها منزلة الحضيض, لا سيما وان الاخر لم يقدر او يهتم لحجم المعاناة التي واجهتها تلك الطبقات من قبل اصحاب النفوذ والمناصب السياسية, وبالتالي ايقاد ذلك المغمور, والراقد في اللاشعور الجمعي, الرافض للممارسات تلك الطبقة, الغريبة والدخيلة على المجتمع, حيث كانت السلطات خليطا, ومزيجا من جنسيات مختلفة, الا ان الترك كانت الفئة الاكثر حظا بينهم لانهم يشكلون النسبة الاكبر بينهم, الامر الذي ولد النفور, والمعارضة من قبل الاخر للمطالبة بالحقوق وارجاع الحق من مغتصبيه لا سيما وان العرب تنظر لهؤلاء الدخلاء مغتصبين للأرض ولكرسي السلطة, الاحساس والشعور المتولد من, هذا الامر دفع بالهامش الى الخروج على تلك المراكز لتحجيم ادوارها وتفكيك سلطتها وهدمها. لقد كانت صراعات المركز حول السلطة وكرسي الخلافة مجالا يعمد اليه الهامش لضرب تلك المراكز وتقويضها ومن ثم سحب البساط من تحت اقدامهم واحداث عملية تبادل في الادوار لحيل كلا منها مكان الاخر حتى وان كان ذلك في مخيلة الشاعر, لاسيما وان تلك المماليك, تعمل وفق مبدأ يركن, الى ان كل مملوك, يرى ان السلطان لا, يزيد عنه الا بما امتلكه من قوة, لذلك يكون اعتلاء السلطة, حقا لمن تتهيأ له, القوة المطلقة لكي ينقض, على السلطة محاولا انتزاعها لنفسه, هذا المبدأ ولد العديد, من الصراعات والدسائس بين, افراد تلك السلطات الحاكمة ذاتها, مما يعني ان التغير, والتقويض لتلك المراكز اصبح, سمة او طابع توشح به ذلك العصر, وهو ما حاول الشاعر ايصاله في خطابه اعلاه, اذ اجمل الموقف والحالة التي كانت عليها القوم بسبب تعاقب الحكام على تلك السلطات بسرعة فائقة لا يتخيلها العقل, اذ لا تلبث الاسواق, ان تزيح الزينة التي وضعت حتى نراها قد تزينت من جديد لقدوم مركزٍ جديدٍ, وهذه السرعة قد فاقت, في حقيقة الامر انبات اللحى على وجه الرجال, هذه السرعة والتضارب في, اعتلاء السلطة, جعل المناصب مجالا وطريقا لكل من اراد الاستيلاء على العرش وتحقيق حلمه بالوصل الى الحكم, ويتجسد هذا التقويض لشخص المركز بقول احدهم:

سلطاننا اليوم طفل, والاكابر في  خلف وبينهم الشيطان قد نزعـــــا

فكيف يطمع من تغشيه مظلمة  ان يبلغ السؤل والسلطان ما بلغـــــا[20]

تعكس الجمل النسقية اعلاه, عن رؤية الهامش الثقافية, لذلك الاخر, وتكمن هذه الرؤية في, محاولة لإثارة ذهنية المتلقي واستمالته الى النص للخوض في مضمراته والكشف عما يرغب الشاعر في ايصاله لمتلقيه من حقائق توحي اليها تلك الاحالات النسقية الكاشفة لسياقات السلطة وسلوكياتها المبطنة, اذ يأخذ الهامش الدور الاساس في تعرية تلك المراكز وبيان زيفها امام من يحاول التطبيل لها او مجاراتها على افعالها السيئة, وبذلك يشتعل الصراع المقوض, ما بين الهامش الثائر, والمركز المصاب بالخلخلة بسبب هشاشه اركانه وثوابت القائم عليها, مما يعني اشعال فتيل, الصراع والنزاع الذي لا, يهدئ الا بتقويض فئة و تعالي اخرى على اعتبار ان الذات لا ترى الا سواها في الواقع والمخيلة, اذ ترفض جميع اشكال المشاركة والقبول مع ذلك الاخر لكونها لا تجد فيه الا عدوا لها, لقد شكلت سلوكيات تلك, السلطات السيئة معجماً ومعيناً يقطف منه الهامش ما يشاء لبناء صورة تخيلية تجسد محور الصراع القائم بين الهامش والسلطة السياسية, ولما كانت العلاقة بين, الهامش والسلطة علاقة غياب, لعدم تكافئهما في المنزلة, فأن النص ومضمراته يأخذان, على عاتقهما اساس التقابل, والمعارضة بين ما هو كائن(السلطة) وبين ما ينبغي ان يكون (الهامش) لتتجسد بذلك حضورية الهامش المطلقة على حساب غياب ذلك المقوض(المركز), وهو بهذا الفعل يعكس, نمطا من الثنائيات الابداعية, المنتجة, فالشاعر يدفع بهذه العلاقة المتأزمة الى الواجهة الحضورية ويستحضر في ذهنه كل ما من شأنه ان يربك السلطة ويحط من قدرها[21] ليعمل بذلك على تبادل, الادوار والارتفاع بذاته ويسمو, بها عن سلوكيات ذلك, المقوض صاحب الصورة السلبية, فالذات المنتفضة قد وصلت, الى هذا الوضع الثائر, نتيجة التوتر الانفعالي المترسب, في الوعي نتيجة تلك التراكمات المفتعلة من قبل تعاقب السلطات وطيش حكامها لا سيما الاطفال ممن نصب من قبل البعض لجعلهم واجهة لتحرك بحرية لتحقيق الاهداف والغايات بأسم تلك السلاطين التي لا تفقه شيئاً لصغر سنها وعدم ادراكها وهو ما توضحه الجملة النسقية (والسلطان ما بلغا) فهي اشارة واحالة تؤيد مزاعم الهامش في خروجه وتهميشه هذا, حيث اكد وبدليل على, عدم اهلية هذا الشخص للخوض في غمار هذا المنزلق السياسي, لاسيما وان الشاعر يؤكد هذا الامر عن طريق الاشارة الى الشيطان خلفه ترميز واضح الى المحرك والاساس لهذه اللعبة السياسية والمتحكم في امور السلطنة. لقد شكلت هذه الظاهرة حالة من التوتر المستمر وعدم احساس الفرد بالاستقرار والراحة لما تخلف عنهم من اضطراب سياسي كبير, لقد كان لتنصيب تلك, الفئات العمرية غير البالغة, ومؤهلة في كراسي الخلافة, من قبل بعض غايات عدة, اهمها التحكم بالأمور السياسية, والبلاد تحت مسمى ذلك, السلطان او الحاكم, وهذا ما يحاول الشاعر ايصاله وفضحه الى المتلقي, اذ اتخذت هذه الظاهرة, لعبة للتحكم في اقدار, الاخرين والحكم عليهم من قبل من يختبئ خلف الستارة ويحرك اقطابها كيفما يشاء ويرغب, لقد شخص الشعراء تلك السياسية المفتعلة من قبل البعض

وحاول تحجيمها من خلال الاشارة الى الاثار المترتبة عليها, الا ان هذه الاشارات كانت غاية الشاعر وهدفه ليعلي من شأنه امام وضاعة ذلك الحاكم وجهله الذي لا يعرف ادارة شؤون نفسه قبل غيره, ان هذه الانقلابات والصراعات, المستمرة كانت المادة المغذية, والدافع الاساس لارتفاع الهامش وصحوته من ذلك التنويم المفتعل من قبل وسائل السلطة وادواتها المؤسساتية الطامعة في بقاء تلك الفئات تحت سطوة المركز وتصرفه, الا ان انتعاش اللاوعي, الشعوري من بعد ذلك الرقود واحساسه بـ الاضطهاد المستمر شكل جبهة لتلك المراكز, لا سيما وان المركز, ومنذ القدم يعيش حالة من التوجس والخوف المترقب من ذلك الهامش الذي طالما حاربه لإخضاعه اليه وضمان عدم خروجه وتمرده عليه, فهذا الاحساس سرعان ما, حل وانزل اقصى ما, لديه بحق تلك السلاطين الظالمة لرعيتها, ليعلن ذلك الهامش تفلته, من القمع والارتفاع والطفو, على السطح على حساب تدنيس ذلك السلطوي وتهديمه ومن ثم اقصائه, فالذات المترددة والخائفة سابقا, قد اعلنت العدوانية بجميع, اشكالها طامعة عن طريق تحطيمها واسقاطها لتلك المراكز من اماكنها, لترميم ذاتها المتصدع ومحاولة, ايجاد نفسها وانتشالها من حالة الضياع التي رسمت لها, وبذلك نحن امام صراع, يطلق عليه البعض من علماء الاحياء بانه لا يخرج عن كونه رد الفعل الحرج والتي تتلخص في الخيار بين الفناء او المجابهة, وهي تلاحظ عند الانسان والحيوان على حد سواء, فقد يستسلم الكائن الحي, ويرضخ او يهرب طالما برزت لديه امكانية النجاة, ولكن عندما تنعدم هذه, الامكانية يتحول الضعف الى, قوة ويستجيب برد فعل حيوي يعبئ كل طاقته ويكثفها في دفاع مستميت عن وجوده واثبات كيانه امام ذلك الساحق له, فالانتصار على تلك المراكز وتقويضها بما يملكه الهامش من وسائل وادوات فاعلة, يحيل بطبيعة الامر الى, ذلك الانتصار القائم على تحويل الاحساس بالنقص والدونية الى وسيلة مهمة للنهوض بالذات والسمو بها على السطح لتقول كلمتها وتكشف ما تحاول المراكز تمريره واسقاطه في اللاوعي الجمعي عند الفرد,[22]ان فساد الحكام وتماديهم بحق الرعية لا سيما اصحاب المناصب منهم في ذلك العصر كان اشبه بالوباء الذي خيم بظلاله وغطى على الجميع ,اذ لم يسلم احداً, من تلك الهيمنة السلطوية الدخيلة على فئات ذلك المجتمع, والتي تنظر الى الرعية, نظرة ازدراء ودونية, الامر الذي جعل من الهامش يقرر الانتصار لنفسه والخروج من دائرة القوقعة التي رسمها المركز لهم الى السطح ليطفو من جديد معلناً عن وجوده الحقيقي بين من ينكر عليه الوجود ويسلبه الحياة, حاطاً من قدر المراكز, منزلاً اياهم الى اماكن تقتضيها رؤية الهامش وذاته, ان هذا الانتصار والتمرد, الذي تلبس الهامش كان نتيجة حتمية لما يعاني ويحس من ظلم وتهميش طيلة فترة سباته المفتعلة من قبل سطوة المركز المؤسساتية, لذلك عندما ادرك اللاوعي صعوبة ذلك الامر ومرارته وبالتالي اتخذ اسلوب المواجهة سبيلاً لاسترداد وجوده الحقيقي بين من لا يرغب بذلك, معتمدا على استغلال ما تقع فيه السلطات وحكامها من اخطاء وعيوب لا تراها سببا يفقد من خلاله الرعية الاستقرار والحرية في العيش الكريم, لا سيما وان السلطة لا يهمها الا تحقيق رغباتها وملذاتها على حساب العرف والقيم التي اقتضها الاسلام والمجتمع, وهو ما يتخذه احد شعراء العصر المملوكي مجالا لينقض من خلاله في توجيه ضربة موجعة لسلطان حسن بن قلاوون محجما وجوده ومقوضا اركان سلطته عن طريق التسلل الى قلب تلك السلطة والكشف عن وجهها الحقيقي غير الذي تحاول اظهاره الى الاخر يقول:

لما اتى للعاديات وزلزلـــــــــت  حفظ النساء وما قرأ للواقعـــــــــة

فلأجل ذاك الملك اضحى لم يكن  وأتى القتال وفصلت بالقارعـــــــــة

لو عامل الرحمن فاز بكهفـــــــه  وبنصره في عصر في السابعـــــــــة

من كانت القينات من احزابه  عطعط به الدخان نار لامعـــــــــــــة

تبت يدا من لا يخاف من الدعا  في الليل اذ يغشى يقع في النازعـــــــــة[23]

لقد تجلى التقويض والتهميش, للمركز في هذا النص بأعلى درجاته, اذ افصح الشاعر فيه عن حقيقة تلك السلطات صاحبة الوضاعة والدونية بطريقة تعمل على ايقاظ الرؤية الفكرية والوعي عند المتلقي من خلال الاستعانة بالسور القرآنية وما توحي اليه بعض اسمائها من دلالات ومعاني تعبر عن مقاصد الشاعر النسقية و رؤيته النقدية بحق هذا الحاكم الذي لا يرى في الهامش وجوداً اليه ولا مكان في عالمه, فقد نظر اليه على انه كائن منزوي لا يعيش فقط لتحقيق رغباته وملذاته الدنيوية متناسيا دنيا الاخرة , عاملا على تخطي جميع الحدود والضوابط المتعارف عليها, الامر الذي جعل الهامش, ينتفض من مكانه معلياً صوته ثائراً عليه مبينا ما فيه من عيوب نسقية ترفضها الثقافة والعرف الاسلامي, فقد ذكر الشاعر في البيت الاول من خطابه ان هذا السلطان المخادع اظهر خلاف ما اضمر في نفسه من سلوكيات لا تقتضيها الخلافة ولا تحبذها السياسة العادلة, بأنه لا يحفظ الواقعة, ويهتم ويكتفي بحفظ سورة النساء, وهي اشارة تحيل متلقيها, الى مدى وضاعة هذا السلطان الذي لا يفقه شيئا من الحكم وامور الدولة سوى مخالطة النساء والتودد اليهن تحقيقا لرغباته, فهذه السلطات لا هم, لها سوى حب الدنيا وتحقيق ملذاتها على حساب اقصاء

الرعية وحرمانهم من ابسط الحقوق في الوجود, الامر الذي انعكس على تلك السلطات بأن جعل الهامش ينقض عليها محطما تلك المراكز وهادما لمركزيتها الهشة, التي لا يرى الهامش وجوداً لها في واقعه الحقيقي, ولا يكتفي الهامش بهذا, القدر من التقويض والتحجيم للمركز ومن فيه, انما نجده يلجأ الى, توجيه السهام المميتة لهيمنة هذا المركز عن طريق احالة ذهن المتلقي ووعيه لاستلام صورة مجسدة لذلك المركز وما يحيطه يكشف من خلالها عن مضمرات نسقية متسربة من خلال اللاوعي تبين الوضع الذي يعيشه السلطان وكيفية الحياة التي يرتضيها لنفسه, فهذا الدنيوي الجاهل لتعاليم الحكم واصوله جعل من ملازمة اللهو والسمر(القينات) احزابا له و رفيقات وهذا قمة الوضاعة والدونية من قبل السلطة التي اقسمت على نفسة الحكم بالعدل والشرع وفق التعاليم والاصول التي اقتضاها العرف الديني والسياسي, وليس على وفق التحصن, والاحتماء خلف تلك القينات. لقد ابدع الهامش المتعالي والسامي في هذا النص بأخلاقه واصوله على ذلك المركز بأن سحب البساط من تحت اقدامه عاملاً على تبادل الادوار والامكنة, لينشد بذلك لنفسه ويؤسس, سلطة مضادة لسلطة المراكز, المقوضة والمحجمة من قبل سلطة الهامش الجديدة المحاصرة للمركز والمكتسحة نفوذه, لتعلن بذلك عن قيام عهدها الجديد ومركزيتها المطلقة القاصية لجميع تلك السلطات الظالمة عن طريق الوقوف والمواجهة. ولعل هذا الامر لم يبعد عن فكر ابن الوردي وروحه الرافضة لذلك الحكم الجائر بحق الرعية, ليعلن حربه ضد المراكز ومن فيها حاطاً من اقدارهم ومنزلا من شأنهم ليعلن بصوته عن مدى اصله الهامش و تفوقه على ذلك المركز الذي لا وجود له الا في ذات المركز نفسه ومن يمجده, واصفا ذلك الزيف الدوني بأنه اشبه بـ الجزار لكن في بني البشر:

عجبت عجبا لأمير ظلم الناس وسبـــــح

فهو كالجزار فيهم يذكر الله ويذبـــــــــــح[24]

مما لا شك فيه ان, الصراع القائم بين ثنائية, المركز والهامش الضدية, هو صراع يتجلى في حقيقته من اجل الوجود واثبات الذات, حيث يعمل كل طرف, على اثبات شرعيته في, الاعتلاء والسمو على الاخر الذي لا مكان له في نظر الطرف الاول, الا ان هذه السياسة, المتصارعة لا بد لها, من تفوق وبراعة لاختيار من هو الاجدر لتلك المراكز, لا سيما وان هذه, الفلسفة كانت من المسائل الأزلية التي واجهت الانسان محاولا التصدي لها اما بالتفوق على الاخر والاعلان عن نفسه بانه صاحب الحق بسبب ما يملكه, والا اصبح في صفوف المهمشين, لكن هذا الفكر المصطنع, من قبل المؤسسة كان عرضه لفلسفة دريدا وآلياته الضاربة لتلك السلطات, اذ لم يعد المهمش, في فكره بعيداً ومقصياً بأمر المركز كما كان سابقاً, بل اصبح في حقيقة, الامر صاحب اهمية بالغة فلا وجود لثقافة نخبوية في مقابل اخرى دونية, ومن ثم لا وجود, لذلك النموذج المتعالي على الاخر, فسياسة دريدا التقويضية تهدف, الى تضيق الخناق على المراكز والغاء وجودها واعطاء بديل يحل محلها واعتباره نتيجة حتمية لتلك المغايرة والاختلاف القائمة على اساس تبادل الدور واقصاء المهيمن وتنصيب من هو احق بهذه المكانة او محاولة الوصول الى التساوي في التواجد والعيش مع ذلك النافي له, لقد جسد النص اعلاه صورة ذات واقعية ملموسة بالنسبة لموقف الهامش يوضح من خلالها ما كان عليه الواقع السياسي لذلك السلطان المؤتمن على الرعية والبلاد, اذ افرزت هذه السلطة, الظالمة حركة توعوية قادها, ذلك المقصي والمنبوذ لتعلن ولادة عصر جديد مبني وفق رؤية ذات وعي وحس يدرك ما آل اليه الوضع بسبب تمادي هذه الفئات الدخيلة عليهم, لا سيما وان هذا, الوعي الذهني العائد من, غيبوبته قد قلب الامور جميعها رأسا على عقب عن طريق الفتك بذلك السلطان وتهميش وجوده بين الاخرين, واصفا هيئته بالجزار. لقد اعتمد الهامش الى اللجوء للحيل الماكرة والوسائل النسقية لتوجيه سهام تقويضية لإصحاب تلك المناصب و تفكيكها, فعن طريقها استطاع الهامش التسلل الى اعماق تلك الهيمنة وزعزعتها, لتعلن بذلك تمكنها وقدرتها على تغير ما لا يمكن تغيره, فما عملت المؤسسة على حمايته اصبح عرضة للهامش ومادة سهلة للهدم والاقصاء, وهذا يتم دون شك, عن طريق السلب, لتطهير الوعي من ابداعات, المركز وسيادة الطبقة, لذلك كانت افضل وسيلة لتحجيم تلك المراكز وتقويضها هو السلب, فهو اقرب الى الهدم منه الى البناء او هو بناء مقلوب, بناء سلبي, بل هو سياسة\ قلب \ تباعد\ مغايرة \ تغاير, لاسيما وان الغاية من هذا يكمن في تهميش الابداع المركزي وتحجيمه, عن طريق محاسبة الوعي, لنفسه لما ابداه من خضوع وطاعة لتلك المراكز وقبوله التواجد في تلك القوقعة المرسومة من قبل الاخر, وتشجيعه للخروج من هذه, الدائرة والطفو على ارض السطح, معلنا للجميع عن ذاته, وحقيقة تواجده بالمكان الذي يرتضيه هو لنفسه لا الذي يختاره الاخر له, هذا التمرد النسقي للوعي, اصبح مصدر خطر يهدد, جميع السلطات ويشغلها في كيفية المواجهة والاستمرار بتلك المراكز, لا سيما وان الهامش قد مثل مقاومة حقيقية تتوشح بكل معاني القوة والسطوة, فقد خرجت من رحم, المعاناة وقاست انواع الظلم والحرمان, فجميع تلك الامور كانت اشبه بالحافر الذي يعطي الهامش الدافع لاستمراره كلما حاول الاخر اضعافه او النيل منه بطريقة ما. لقد عمل الشاعر في, هذا النص وعن طريق, الاشارات والرموز الى ايصال رسالة الى متلقيه عن سلوكيات هذا السلطان المخاتلة والمخادعة المباركة من قبل المؤسسة , اذ تشير تلك الرموز, الى مقصدية الباث ووعيه لما يريد قوله بحق هذا المركز ومن يتحكم فيه, فقد اتخذ من اسلوب, المخاتلة طريقا لبناء هيمنة سلطته المزيفة, بمساعدة السلطة المؤسساتية ومباركتها,على تقريب هذه المراكز وتلميعها بصور

تجميلية شتى وتقديمها الى متلقيها بصورة تناسب الوعي وثقافته المبني عليها, الا ان براعة الهامش صاحب القضية وقدرته الاسلوبية في توظيف المفردات عملت على خلخلة هذه الصورة وقلبها ضد المراكز لا لمصلحتها, ان صوره الشاعر بحق, هذا المركز كان اشبه بالصاعقة التي تحل على ارضٍ ما تقصي ما عليها وتعري من بها, فهذا السلطان الذي يتحدث بالظاهر عن اقامته لدولة العدل والحكم بالشرع والقواعد الاسلامية المتفق عليها, بعيد كل البعد عن هذا الامر, بل هو اقرب واشبه بذلك الجزاز الذي يبدأ عمله بذكر الله لنحر ما يقع بيده, فهو لا يختلف عنه شيئا, لقد عملت الدلالة اللغوية الموحية بالاستعمال من قبل الشاعر على اقصاء ذلك المهيمن وتفكيك مركزيته عن طريق قوقعته وسجنه بدائرة المنبوذ والمقصي من قبل سلطة الهامش الثائرة عليه. لقد كانت نصوص الشعراء لا سيما المملوكي منهم وثيقة تجسد مدى وعي الهامش وقدرته على المواجهة والتصدي للمراكز السالبة لحقوق الرعية, اذ كانت اشبه بالسيف الذي حز وريد تلك الحكومات وقطع اوصالها لتتلاشى الى العدم وتنتهي بنظر تلك الفئات التي طالما حلمت بجعلها تابعة وخاضعة لها, الا ان هذا الحلم, لم يتحقق ولم يبق الهامش في قوقعته وسجنه المفروض عليه, فقد اختار المواجهة والتصدي, لتلك المراكز منطلقاً من, رغبةٍ وايمان بقضيته في اعادة ترميم نفسه واعاده وجوده امام ذلك الدخيل عليه السالب لحقه لا سيما وان الرد كان اقوى واعنف مما تعتقد تلك المراكز, فالإصرار على استغلال ثغرات, السلطة وهفواتها كانت من اهم العوامل التي ساعدت على سلب المركز هيمنته وتقويض حجمه في مركزيته بين اصحابه ممن كان يحتمي ويتضلع بهم خيرا, الا انهم لا يعدون, كونهم ادوات تحركه في الامور والمواقف ويحركها لتحقيق اطماعه ورغباته التي لا تنتهي. كما يشير ابن دانيال, الى هذه الفكرة مفصلا, فيها الحديث, منقضا عن طريقها على, اركان تلك المراكز ومن كان يتقلدها عن طريق التعرض للوزارة ولأميرها الذي لا يعرف سوى جلد الرعية وسلب ما لديهم , فقد رسم صورة قوض, فيها تلك السلطة محطما هيمنتها, ساخرا من وزيرها حاطاً من قدر ووضع موكله القائم بأمرته قائلا فيه:-

ذا ينادي قال الامير اطلــبوا  الديون  واستعجلوا مع الكيالِ

فنوافي اليه وهو من العجب  بأنـــــــــف على الوزارة عالي

فينادي حُجابه اقبضــوا لا  تقبضوا دون قبض رســـم الوالي

واحذروا ان تنظفوا غلة قط  بلوح في ريح او كربـــــــــــــالِ

فأنادي ان كان لا بد من ذا  فاقبضوها بطارة  الزبـــــــــــــال[25]

يسعى الشاعر في هذا, النص للإطاحة بالمركز ومحاولة, محاصرته من مختلف الجهات, عن طريق التنكيل بهذه السياسة والكشف عن زيفها وتعريتها على حقيقتها امام الجميع من خلال الوقوف على اهم العيوب النسقية التي توشح بها وطغت عليه, فهذا الامير وموكله المسلط, على الرعية لا هم لديهما الا جمع الاموال واخضاع الاخر اليه لطاعته حتى وان كان على غير صواب, لقد اشار النص واكد في اكثر من موضع عن طريق احالة المتلقي الى مضمرات ذلك الخطاب ومخبوءاته التي يحاول من خلالها الشاعر التخلص من هذا المركز وهيمنته المصطنعة من قبيل بعض طالبي المصالح والمطامع, لقد وظف الصوت الثائر والسلاح الضارب مهاراته البلاغية وادواته النسقية ذات الثقافة لكسر هذه المركزية القائمة على التفرد وزعزعتها بالرأي دون الاكتراث لعواقب ما يتخلف عنها وما يحدث لتلك الفئات بسبب تلك السياسات العدوانية المتبعة من قبل ذلك الحالم. لقد كان الهامش وسياسته, المقننة بالمرصاد لسياسات المركز العدوانية القائمة على مبدأ التعالي والاقصاء, تلك المراكز التي لا, ترى غير نفسها صاحبه الحق في تولي امور السلطة واخضاع الافراد لهيمنتها المصطنعة, لذلك كان انتفاض الهامش, وخروجه على تلك السياسات, اشبه الصاعقة التي نزلت, على تلك المراكز ومن تقلدها, محطما بعمله هذا القواعد المؤسساتية ومفككا لبنيتها الجمالية, قاذفا بها الى اماكن ومواضع اقتضها الهامش لها لتكمل فيها مسيرتها واحلامها التي لا مكان لها بوجود صاحب الوعي والحس الشعوري, ان ما فعله الشاعر قد احال فيه وعي المتلقي من اللاوجود والعدم الى اثبات الذات والتواجد الفعلي امام تلك الهيمنات الرافضة لمثل هذا الامر, لاسيما ان اصرار اللاوعي الجمعي عند الشاعر والذي جعله جسراً  يحرك من خلاله الذاكرة الجمعية ويدعوها للإفاقة من ذلك الرقاد والنهوض لتقول كلمتها بحق من يريد لها الانزواء وعدم الانخراط بين الاخرين, لذلك يمكن القول ان ما كان يقدم عليه الهامش من قول او فعل كان له الاثرً الكبير في حدوث تقلبات سياسية على مستوى عدة, اذ كانت صولات الهامش على تلك المراكز ومن يعتليها عاملا مهما من عوامل الانقلاب على السلطة من قبل المحيطين والطامعين بالسلطة ذاتها, اذ فتحت الباب لمشروعية الاعتلاء والتحكم لبعض المتربصين, ومن تمثلات هذا التقويض الذي حجم به الهامش المركز وفكك به اركانه ليستغل ذلك التقويض من اراد التسلق للوصول الى السلطة, ما وجدناه في قول احدهم :-

راح برقوق وغزلانه  وجا الناصري وتيرانه[26]

لقد كانت انتفاضة الهامش, على ذلك المركز وسلطانه, الجائر النهاية المحققة لانتهاء مركزية هذا الظالم على يد من كان يثق به ويأتمنه على امور رعيته, اذ انقض احد امراء, ذلك البيت معلناً انشقاقه وتمرده على ذلك الحاكم, لا سيما وان هذا, الخروج والتقويض قد جاء بدعم من قبل مختلف الطبقات ومساندتها, خصوصا المنعدمة منها, اذ تشير المصادر ان, هذا التقويض نتج عنه القضاء على حكومة الناصري وتيرانه الهائجة دون رادع لسلب حقوق الناس وممتلكاتهم لذلك كان اندفاع الهامش وسخريته من تلك السياسة الدافع الاول والاساس بل المحرك لتقويض هذه السلطات وتهميشها من قبل المتربص لها والمريد لزوالها مع قدوم اول فرصة تسمح له بذلك بمساعدة الهامش و سلوكيات سياسته المتبعة في الحد من ارتفاع المركز وتقدمه والعمل دائما على تحجيم وجودهم والغاء تواجدهم بجعلهم كائنات غير مرئية لا مكان لها في عالم الهامش, لا وان تقصد الشاعر, في استعمال لفظة الزبال ذات المغزى الثقافي كان لها دور مهم في جعل ذلك المركز حبيس خانة التهميش, مجردا من الصفات الايجابية التي اقتضتها الثقافة العربية لمثل تلك المراكز, وهو بهذا الوصف استطاع, الحط من قدر ذلك المركز ومكانته بين الاخرين, قالباً الوضع والاحداث لصالحه عن طريق وصفه لحال ذلك الوزير والحال الذي ارتضاه اليه في اعطاء الاموال. ولم تقف الذوات المهمشة, في تقويضها لتلك المراكز, على هذا الحد, انما نجدها تذهب الى التأكيد على سلبية تلك السلاطين عن طريق التصريح بذكر الاسماء لنيل منها وسحقها بين الاخرين, هذا ما رصدناه في قول احد شعراء العصر ممن جسد في نصه تلك الرؤية والاحساس النابع من عداوته الكامنة لهؤلاء الحكام والوزراء ممن لا علم له بأصول السياسة وكياستها قائلا فيه:-

تبدلت المحاسن بالمساوئ  بمصر وقد تولاها الببـــــــــــاوى

وزيرا وهو قعر الدست وجها  قبيحا في حضيض الجهل هاوى[27]

يوضح هذا الخطاب الشعري, حقيقة التوتر الذي يعيشه, الهامش مع السلطة السياسة, اذ يكشف هذا التوتر وعن طريق ايحاءات الدلالات اللفظية ذات المعنى المضمر الى ما تتعرض اليه السلطة الحاكمة على يد الهامش وسياسته المنتقدة من موجة شديدة اللهجة تعتري المركز هادفة الى تقويض اركانه ومن ثم الاطاحة به وانهاء تواجده عن طريق التعريض به والكشف عن حقيقته المزيفة, ان غاية الهامش هنا في التصريح والاعلان عن هذا السلطوية بالاسم انما يشير في حقيقة الامر الى الحيلة النسقية من وراء ذلك, اذ تكشف القراءة الثقافية عن مضمرات النص وتكشف النقاب عن قصدية الهامش والتي لا تخرج عن كونها تحرض المتلقي على السلطة وتدفعه الى مواجهة هذا المركز والتمرد عليه لا سيما وان تاريخ هذا الرجل معروف لدى الجميع, اذ اثار توليه السلطة, الوزارية في ذلك الوقت غضب العديد من فئات الشعب الرافضة قيادة الرعية وتولي شؤونها من قبل شخص لا يعرف القراءة والكتابة, امثال محمد البباوى اللحام, وهو معروف عنه في, الاوساط الشعبية انه لا, ذات ولا ادوات ولا, كتابة ولا فضيلة ولا, بشاشة, وبالرغم من جميع هذه العيوب التي ترفضها الثقافة وتعدها خارج اسوارها, الا اننا نجد ان حكومة السلاطين تتجاهل هذه الاسس,وتعمد الى استيزاره في, منصب حساس يقتضي من, يعتليه الحكمة والكياسة السياسية لقيادة امور الرعية, هذا الفعل قد اثار, سخط الهامش وغضبه ليعلن, بذلك حربه وانتفاضته على هذا السلطة ومن فيها ,بدءاً من البباوى المزيف, وصولا الى السلطان الظاهر, الذي جعله بهذا المنصب دون علم ودراية لعواقب الامور, محاولا الاطاحة بهم عن, طريق الانتقاص منهم دافعا, بهم الى مواضع الاقصاء والتقوقع المصطنعة لهم من قبل ذات عاشت مرارة التسلط والهيمنة, وحالمة في بناء كيان خاص بها او محاولته ترميم ذلك, لتثبت فيه تواجدها ولتقول كلمتها امام الاخر المهمش لها. وللهامش الباع الطويل في هذا المجال منذ القدم, اذ تسابقوا فيما بيهم لإثبات ذواتهم ووجودهم بمختلف الطرق بين من يريد لهم الاقصاء, لا سيما ان الاصرار والوعي الثائر الراغب بالمثالية والسمو يخلق هذه العوالم ليتوشح بها حتى وان كانت تحيا ذلك في العالم الخيالي الذي تجده المكان الانسب لذواتها, فتلك الذوات المثالية المشيدة من عوالم تتسم بكل ما هو واقعي ومتخيل تحاول فيه بناء منظومة نسقية ذات رصيد ثقافي تستند اليه في مواجهة تلك المراكز والانقضاض عليها عن طريق الضغط على السلطات وجعلها محل سخرية من قبل ذلك المهمش لها, فالوعي الشعري عند الهامش يحرص اشد الحرص على اغتناء الذات شحنها بأكسائها ما يعطيها القيمة الحقيقية للعظمة والسمو لمواجهة ذلك الاخر والتفوق عليه بما تمتلكه من مؤهلات لا تتوافر في الخصم, لا سيما البباوى المعروف, بين القوم بافتقاره لأبسط, الامور, هذا الفراغ والقاعدة الهشة, التي بنى عليها السلطان حكمه كان مجالا وعرضة للهامش لاستغلاله ضده وقلب صورته, بمساعدة ما افرزته الثقافة من وسائل وادوات ثقافية ضاربة في عمق التاريخ, لا سيما وان الهامش في عمله التمردي هذا يتكئ على((الماهيات ليقصد ذاته ويؤسس تعاليها, وليس التعالي هنا سوى تجاوز الواقع بالحقيقة, ذلك ان المعرفة في النهائية هي ما يجعل الوجود في العالم ممكنا, اذ تؤسسه في القيمة, وبهذا ستصبح المعرفة طريقا لتعالي الذات على ذاتها وواقعها, فقصدية الوعي تقرر ان ما له قيمة هو ما له معنى وان الذات هي المجال الخاص بالمعنى والقيمة واطارهما))[28], من هذا المبدأ انطلق الهامش في مهمة البحث عن الوجود واثبات الذات عن طريق ترميم ما حاول الاخر تهميشه وهدمه, الا ان افاقة وعي الهامش وعودته من ذلك التقوقع المرسوم له كان اشبه بالصاعقة التي حلت على كاهل تلك المراكز لتقوض ومن فيها, وتسلب حريته وحقه في ممارسة عمله عن

طريق الضرب على تلك المكامن السياسية وتقيده بقيود الثقافة ليتراجع بذلك عن دوره المرسوم له من المؤسسة معلنا عن افتقاره لتلك لما يؤهله لذلك الصراع الذي اثبت فيه الهامش جدارته في تبادل الادوار واعتلاء الاماكن ببراعة فائقة. ومما رصدناه في هذا المجال ما تضمنه خطاب احدهم بحق احد قضاة المؤسسة القضائية التي ترعاها المؤسسة السياسية المركزية يقول:

يا ايها الناس قفوا واسمعوا صفات قاضينا التي تطـــرب

يلوط, يزنى, ينتشى, يرتشى ينم, يقضى بالهوى يكــذب[29]

يظهر الشاعر في هذا النص محاولة الحط من قيمة المركز وتهميشه عن طريق توجيه سهام التقويض لأهم مفصل من مفاصل الدولة ذلك المنصب الذي تتجه اليه الانظار وتتأمل عدالته الرعية لكونه الحاكم و الراعي لشؤون تلك الطبقات الحالمة , الا ان وجود هذا الشخص في هذا المكان كان اشبه بالبلاء الذي حط على اهلها ليصيب منهم الجزء الاكبر, مما ادى الى خروج تلك الفئات لتعبير عن رفضها القاطع لتواجد مثل هكذا شخصيات مزيفة لا تفقه من اصول السياسة والقضاء شيئاً, لذلك انصب غضب الهامش وعلى لسان الشاعر للنيل منه عارضا لعيوبه معدداً لصفاته الذميمة التي يترفع عنها الاخر لكونها منبوذة من قبل الثقافة العربية وخارجة عليها, ان هذا الوصف الذميم لشخص المركز عمل على تقويض حركة ذلك المركز وشل مفاصلها, اذ قوقع الهامش المركز وجعله حبيس جدرانه لا يقوى على المواجه والرد لعدم امتلاكه ما يؤهله للرد او الوقوف بوجه الهامش المندفع بكل قوة للإطاحة بهيمنة المركز وكسر سطوتها الزائفة, المبنية على ظلم الهامش وسلب حقه, الا ان هذا التهميش والظلم سرعان ما انقلبا على صاحبه ذلك المركز الذي جعله الهامش يعيش الواقع عن طريق تبادل الادوار واعتلاء الهامش للمركزية والحط من قدر تلك المراكز التي لا وجود لها في عالم الهامش الجديد الرافض لتواجده ومشاركته له. ان ذات الشاعر تتحرك في اقصائها لذلك المركز وتقويضه من منطلق ذي مستويين يتحدد الاول في محاولته الانقضاض على السلطة وتعريتها امام الجميع بتعداد عيوبها النسقية المرفوضة من قبل الثقافة, والاخر يتجسد في كونه يحاول كشف هذا القاضي وسلطته الدينية المزيفة القائمة على حيل المؤسسة , فهو في الظاهر غير الباطن.

**الخاتمة:-**

لقد شكلت ثقافة التقويض والاقصاء لدى الشعراء بحق تلك المراكز في العصر المملوكي جزءاً مهماً من الثقافة العربية الاصيلة التي اسست بدورها الجزء الاكبر من اللاشعور الجمعي للعقلية العربية الرافضة لتلك السياسات الدخيلة عليها مع دخول العنصر الاجنبي غير المدرك لحقيقة الموقف والظالم بحكمه السلطوي لمختلف فئات الشعب, لقد جسد هذا الرفض النابع من الحس الشعوري حالة من الهيمنة توشحت بها تلك الفئات المطالبة بحقها وسيادة كرامتها المسحوقة من قبل سلاطين العصر المملوكي وحكامه, لذلك جاء الرفض والتمرد والخروج على السلطة السياسية يتخذ طرائق مختلفة واشكالا عدة كلاً حسب الموفق والاتجاه الذي يسير فيه, الا ان الطابع العام تمثل في نشوء حالة من الوعي الذهني الثائر المسيطر على عقلية الفرد وذاته, تلك الذات التي ترى في نفسها صاحبة الحق في اعتلاء الساحة ومشاركة الاخر لمختلف المواقف, لا سيما انها تمتلك ما يؤهلها لذلك السمو متفاخرة بما احتوته من صفات ثقافية تحبذها الثقافة العربية وتشيد بوجودها لأنها مكمل اساسي لتلك الشخصية, على عكس تلك المراكز المزيفة وسلاطينها الهشة غير المؤهلة لقيادة الرعية وتسيد الموقف, من هذا الامر انصب غضب الهامش بمختلف فئاته على المراكز للانقضاض عليها وجعلها حبيسة اركانها المخترقة والمقوضة من قبل سلطة الهامش الطامعة في اقصاء السلاطين والاطاحة بتلك السياسات الحالمة في اخضاع الرعية لحكمها وسلب حقوقها , الا ان رغبة الهامش ووعيه الثقافي كان بالمرصاد لأحلام السلاطين وحكامهم ممن لا علم ولا دراية لديه في اصول الحكم وقواعده.

**الهوامش:**

1-الفيروز ابادي,القاموس المحيط: (1381)

2-الخليل, كتاب العين: (442)

3-ينظر: ميجان الرويلي, سعد البازعي, دليل الناقد الادبي: (107)

4-ينظر: صلاح حمادي جازع, حسن عبود, التقويض النفسي والاجتماعي للشخصية:(54\55)

5–ينظر: ميجان الرويلي , سعد البازعي, دليل الناقد الادبي:(107)
6–ينظر: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة:(202)
7– عبد الملك مرتاض, نظرية التقويض: (281)
8–المصدر السابق والصفحة
9–ينظر: ميجان الرويلي, سعد اليلزعي, دليل الناقد الادبي: (108)
10–ينظر: جابر عصفور, نقد ثقافة التخلف:(221)
11–الحلي, ديوان الحلي:(20)
12–ينظر: بشير شريف الشعر العراقي في العصر الوسيط والعثماني حيوية الرؤية والمصطلح: (171\169)
13–ديوان ابن عنين: (239)
14–ديوان ابن عنين:( 211\210)
15ينظر: معتز سلامة,القراءة الثقافية وانساق الخطاب الشعري القديم:( 218)
16–ينظر: عبد الغني عماد, سسولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك واعادة البناء:(18)
17– الكتبي, فوات الوفيات:( 1\327)
18–ينظر: هالة احمد, المثقف بين السلطة والعامة:(424)
19– ابن الوردي, تاريخ ابن الوردي\ ج2\ :(347)
20–ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة \ ج10\ : (22)
21–ينظر: حركية الصراع في القصيدة العباسية: (149)
22–ينظر: مصطفى حجازي, التخلف الاحتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور:(55)
23– ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة:(10\316)
24–ديوان ابن الوردي :(223 )
25–الصفدي, المختار من شعر ابن دانيال :197)
26–محمد رجب النجار, الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك:(46)
27–بدائع الزهور:( 3\87)
28–هلال جهاد, جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري:(382)
29– محمد رجب النجار, الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك:( 78 )

**المصادر:**


- ابن الوردي , تاريخ ابن الوردي, 1996, بيروت ,دار الكتب العلمية, ط1, ج2
- مصطفى حجازي, التخلف الاحتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور, 2005, المركز الثقافي العربي, ط9
- صلاح حمادي جازع, حسن عبود علي, التقويض النفسي والاجتماعي للشخصية, 2032مجلة فنون البصرة, 27
- جابر عصفور, ثقافة التخلف, 2009\ 2010 دار الشروق , مصر
- هلال جهاد ,جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي, 2007مركز دراسات الوحدة العربية,ط1
- ناظم حمد السويداوي,حركية الصراع في القصيدة العباسية, 2012, دار العرب للدراسات والنشر والتوزيع
- د. بشير تاوريوت الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة, 2010عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع, الاردن, ط1
- سعد البازعي , ميجان الرويلي, دليل الناقد الادبي, 2003 المركز الثقافي العربي, ط3.
- زين الدين ابو حفص الوردي, ديوان ابن الوردي, 2006 , دار الافق العربية, تحقيق عبد الحميد هندوي,ط1
- شرف الدين ابي المحاسن, ديوان ابن عنين, تحقيق خليل مردم بك, ط2, دار الصادر بيروت
- الحلي , ديوان الحلي, دار الصادر بيروت
- عبد الغني عماد, سسولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك واعادة البناء , 2017مركز دراسات الوحدة العربية, ط1
- محمد رجب النجار,الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك2015,, الهيئة المصرية العامة للكتاب
- شريف بشير احمد,الشعر العراقي في العصر الوسيط والعثماني حيوية الرؤية والمصطلح, 2021, تموز ديموزي
- محمد بن شاكر الكتبي, فوات الوفيات والذيل عليها, 1973, دار صادر بيروت, تحقيق احسان عباس م 1,

- معتو سلامة, القراءة الثقافية وانساق الخطاب الشعري القديم, 2021, دار النابغة للنشر والتوزيع,ط1
- الفراهيدي, كتاب العين, 2003, دار الكتب العلمية بيروت لبنان, تحقيق عبد الحميد هنداوي ط1
- هالة احمد, المثقف بين السلطة والعامة, نموذج القرن الرابع الهجري ابو حيان التوحيدي, ط1
- الصفدي ,المختار من شعر ابن دانيال, 1978, المكتبة الوطنية ببغداد, تحقيق محمد نايف الدليمي
- ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة في ملوك نصر والقاهرة, دار الكتب العلمية, قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس, ج10
- عبد الملك مرتاض, نظرية التقويض, علامات في النقد, 1999, ع34, 1ديسمبر
- مجد الدين الفيروزآبادي, نقد القاموس المحيط, 2008, دار الحديث القاهرة, تحقيق انس محمد\ زكريا جابر